مشروع تعليم الصلاة
Prayer Teaching Project
مملكة البحرين/المنامة/تأسس سنة ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ

الخطّة الدراسيّة للفصل الأوّل للعام المأتمي 2016-2017م

الفرقة: الخامسة

رمز المقرر: خلق 501

اسم المقرّر: الصحيفة السجادية

توصيف المقرّر

يتناول هذا المقرّر بعض الدروس المستفادة من الصحيفة السجّاديّة الّتي تعتبر دستوراً جامعاً لأسس الصلاح والإصلاح ومنهجاً سامياً للوصول إلى السعادة في عالم الدّنيا والآخرة.

الخطّة الأسبوعيّة

الأسبوع	الموضوع	الصفحة	ملاحظات
الأوّل	زبور آل محمد (ص)	5	
الثّاني	حسن الخلق	9	
الثّالث	الوفاء بالوعد	15	
الرّابع	كتمان السر	21	
الخامس	أمانة الوقت	25	
السّادس	التواضع	31	

فهرس المحتويات

الدرس	العنوان	الصفحة
الأول	زبور آل محمد (ص)	5
الثاني	حسن الخلق	9
الثالث	الوفاء بالوعد	15
الرابع	كتمان السر	21
الخامس	أمانة الوقت	25
السادس	التواضع	31

"أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي..."[1].

"أَللَّهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِاَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ، مَتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الاجَابَةِ إِذْ تَقُولُ (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ....)"[2].

"أَدْعُوكَ فَتُجِيبُنِي وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئاً حِيْنَ تَدْعُونِي. وَأَسْأَلُكَ كُلَّمَا شِئْتُ مِنْ حَوَائِجِي، وَحَيْثُ مَا كُنْتُ وَضَعْتُ عِنْدَكَ سِرِّي، فَلاَ أَدْعُو سِوَاكَ، وَلاَ أَرْجُو غَيْرَكَ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، تَسْمَعُ مَنْ شَكَا إِلَيْكَ"[3].

الصحيفة السجّاديّة

أ- في رحاب الدّعاء

في هذه الفقرة الشريفة بيان من سيّد العابدين عليه السلام لجملة أمور هي:

أوّلاً: اختصاص الدّعاء بالله تعالى وقصره عليه، فلا يسوغ دعاء غيره مهما عظم شأنه، يقول سبحانه: (**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**)[4] ولا إشراكه معه.

1- الصحيفة السجّاديّة، من دعائه خ متفزّعاً إلى الله عزّ وجلّ، ص134، ط 1418، دفتر نشر الهادي، قم.

2- م.ن، من دعائه خ في ذكر التوبة وطلبها، ص.140

3- م.ن، من دعائه خ في التضرّع والاستكانة، ص.252

4- الجن: 18.

ثانياً: وجود أمر إلهيّ بالدعاء ووعد ربّانيّ بالإجابة كما هو صريح الآية.

ثالثاً: إنّ الله عزّ وجلّ قريب ممّن دعاه وناجاه يسمع من شكا إليه إذا قصر رجاءه عليه ولم يدع سواه، يقول عزّ من قائل: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**)[5].

وممّا جاء في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: "**اعلم أنّ الّذي بيده خزائن ملكوت الدّنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفّل لإجابتك، وأمرك أن تسأله ليعطيك وهو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه.. ثمّ جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه**"[6].

لذلك إنّ أهمّيّة الدّعاء غير خفيّة على أحد لما نزل في الكتاب وورد في الروايات، وقد تقدّم الكلام عن هذه النقطة في "صدى الآيات"، والّذي نريد تسليط الضوء عليه هنا هو ما تمثّله أدعية الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام من دور بنّاء ضروريّ في حياة المؤمن لما تحمله من أساليب ومعانٍ راقية في دعاء المولى سبحانه وفي الوقت نفسه هي دستور حياتيّ في المثل والأخلاق والفضائل يتربّى على مبادئها كلّ إنسان يريد الكمال وبلوغ الذروة في خطّ الإنسانيّة.

ب- حكاية الصحيفة السجّاديّة

جاء في سيرة الإمام السجاد عليه السلام أنّه كان يخطب في الناس في كلّ يوم جمعة ويعظهم ويزهّدهم في الدّنيا ويرغّبهم في أعمال الآخرة ناشراً بينهم ألوان الدّعاء والحمد والثناء الّتي تمثّل العبوديّة المخلصة لله تعالى، فكانت الصحيفة السجّاديّة الّتي جمعت أدعيته ومناجاته وابتهاله والقيم العالية والّتي سُمِّيت بإنجيل أهل البيت عليهم السلام وزَبور آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بما ضمّتهُ من مبادئ الأخلاق والحقوق والواجبات والآداب، تعالج مشاكل الفرد والمجتمع وتنشر أجواء روحيّة، تدعو إلى الثبات عندما تعصف المغريات وتشدّ الإنسان إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها. وليس للمؤمن غنىً عنها في كلّ مفاصل حياته طالما أراد السير على الصراط المستقيم.

5- البقرة: 186.

6- نهج البلاغة، الشريف الرضيّ، تحقيق صبحي الصالح، ط 1967، بيروت، ص 399.

ولنعرف ما لها من مكانةٍ رائدةٍ، علينا أن نطّلع على ما ذكره علماؤنا الأبرار رضوان الله عليهم:

1- مفخرة الإسلام:

ممّا جاء في وصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره افتخاره الكبير بزَبور آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال فيها: "نحن فخورون بأنّ الأدعية الّتي تهب الحياة والّتي تسمّى بالقرآن الصاعد هي من أئمّتنا المعصومين عليهم السلام نحن نفخر بأنّ منّا مناجاة الأئمّة عليهم السلام الشعبانيّة، ودعاء عرفات للحسين بن عليّ عليه السلام والصحيفة السجّاديّة زَبور آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم".

2- جامعة العلوم الإلهيّة:

وبهذا التعبير الرائع ختم الشيخ محمّد تقيّ المجلسيّ رحمه الله كلامه عن أسانيدها قائلاً: "والحاصل أنّه لا شكّ في أنّ الصحيفة الكاملة عن مولانا سيّد الساجدين بذاتها وفصاحتها وبلاغتها واشتمالها على العلوم الإلهيّة الّتي لا يمكن لغير المعصوم الإتيان بها والحمد لله ربّ العالمين على هذه النعمة الجليلة العظيمة الّتي اختصّت بنا معشر الشيعة[7]".

3- تراث ربّانيّ محمّديّ علويّ:

ممّا جاء في كلام الشهيد المقدّس السيّد محمّد باقر الصدر رضوان الله عليه حول الصحيفة المباركة: "وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّاديّة تعبّر عن عمل اجتماعيّ عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربّانيّاً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانيّة بحاجة إلى هذا التراث المحمّديّ العلويّ وتزداد حاجة كلّما ازداد الشيطان إغراء والدنيا فتنة".

فاللازم أن نحمل هذه الصحيفة المباركة وسيلة اتصال بالله تعالى، ومنطق حقّ نتعامل به مع الآخرين، ومدرسة فضيلة نتربّى من خلالها وعليها نربّي صغارنا وأجيالنا وإليها نحتكم حينما تعصف رياح الفتن، لأنّها دليل إلى سبيل الصلاح والإصلاح ومفتاح إلى النجاح والفلاح، ودستور إلهيّ يعمل به كرام الناس، مع ما حوت من علاج لكلّ موقف ودواء لكلّ داء سواء على الصعيد الفرديّ أو الاجتماعيّ، فإلى تلك المباني الجليلة والمعاني الجليلة سيظلّ أهل الولاية وأحبّاء زين العابدين عليه السلام ينشدون مدى الحياة، يرفعون كتاب الوحي على رؤوسهم وبأيديهم سفران خالدان:

7- بحار الأنوار، ج 110، ص79.

نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام والصحيفة السجّاديّة لسيّد العابدين عليه السلام، لتكون هذه الكتب الثلاثة نهج نجاتهم ونظام حياتهم.

خلاصة الدرس

أ- الدّعاء مخّ العبادة، وقد حثّ الكتاب الكريم والروايات المباركة عليه حيث من خلاله تكون الصلة مع الخالق تعالى، ويتغذّى الإنسان من الجوانب المعنويّة والروحيّة.

ب- من أرقى مجامع الأدعية، الصحيفة السجّاديّة زَبور آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لاشتمالها على شتّى الأمور الحقوقيّة والأخلاقيّة وفنون الدعوات والمناجاة بأرقى التعابير وأجمل الأساليب.

ج- تعتبر الصحيفة السجّاديّة مفخرة الإسلام وجامعة العلوم الإلهيّة وتراثاً ربّانيّاً محمّديّاً علويّاً، وينبغي أن تكون حاضرة في صدور المسلمين وأقوالهم وأفعالهم كدستور حياة ومدرسة أخلاق للفرد والمجتمع.

"أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيْبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ..."[1].

الصحيفة السجّاديّة

أ- في رحاب الدّعاء

يعرّفنا الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال هذه الفقرة الرائعة من دعائه في مكارم الأخلاق على الأسس والخطوط العامّة المرتبطة بالصلاح والإصلاح الّتي من خلالها يمكن للإنسان أن يسلك خطّ الإيمان في العمل سواء في علاقته مع ربّه سبحانه، أو مع نفسه أو مع الناس، وأن يكون داعياً إلهيّاً بتجسيد تلك المفاهيم الّتي كانت لأجلها الرسالة وعمل لها الأنبياء والأولياء على امتداد أعمارهم ومهامّهم. فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق"**[2] وفي هذا السبيل كان من عطاءاتهم ما يفوق تصوّرنا ومن تضحياتهم ما يعجز عنه الكثير منّا.

ومن جملة ما ورد في هذا الدّعاء المبارك "حُسن الخُلُق" الّذي عبَّر عنه عليه السلام بطيب المخالقة: وهو موضوع حديثنا في هذا الدرس، وعليه نسلّط الضوء من خلال الاستعانة بالمأثور عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة عليهم السلام ضمن الحديث عن أهمّيّته وما يترتّب عليه في الحياة الدّنيا وفي الحياة الآخرة.

1- الصحيفة السجّاديّة، ص.96

2- بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج68، ص382.

ب- الإسلام وحُسن الخُلُق

اختصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المسافة في مقام بيانه لأهمّيّة الخُلُق الحَسن ومكانته في الدين الحنيف بثلاث كلمات هي: "الإسلام حُسن الخُلُق" كاشفاً في هذا التعريف عن المعنى الكبير والدور المحوريّ لبناء الشخصيّة الإسلاميّة عبر الأخلاق الفاضلة، وأنّه بالابتعاد عنها وإتباع الرذائل لا يمكن أن نجد الإسلام الّذي جاءنا به حيّاً نابضاً في النفوس، بل على العكس، إنّ التخلّي عن مكارم الأخلاق وإتّباع سبيل الهوى، وهجران العمل بالواجبات والسُّنن تُعتبر حرباً على الإسلام، وإن كان دون التفات إلى هذا الواقع الخطير.

وممّا يؤكّد على أهمّيّة حُسن الخُلُق أنّه إذا أردنا أن نتعرّف على المؤمن فليس المطلوب هو الاطّلاع على هويّته الشخصيّة ومعرفة انتمائه إلى أيّ بلد أو عائلة وتفصيل نسبه، وإنّما المطلوب أن نجد حُسن الخُلُق عنوان صحيفته فإنّه كاف ووافٍ في التعريف عنه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "عنوان صحيفة المؤمن حُسن خُلُقه"[3].
وعن الإمام الحسن عليه السلام: "أنّ أحسن الحسن الخُلُق الحَسن"[4].
وفي الحديث: "أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلُقاً"[5].

ج- ما هو حُسن الخُلُق؟

الخَلق والخُلق مفردتان مستعملتان، يقال: فلان حَسَن الخَلْق والخُلُق أي حسن الظاهر والباطن، فيُراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويُراد بالخُلُق الصورة الباطنة وهي عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروّية، فإن صدرت عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سُمِّيت الهيئة خُلُقاً حَسَناً، وإن صدرت عنها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة الّتي هي المصدر خُلقاً سيِّئاً[6].

3- ميزان الحكمة، الريشهريّ، حديث.4994
4- م.ن. حديث.4989
5- أمالي الطوسي، 227 .140
6- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانيّ، ج5، ص96.

وقد فسّره أهل البيت عليهم السلام من خلال الإشارة إلى المصاديق، فأوضحوا موارد عديدة لحُسن الخُلُق، منها:

1- **البدء بالتحيّة:**

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**إنّ بذل التحيّة من محاسن الأخلاق**"[7].

2- ترك الغضب:

"جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدّين؟ فقال: حُسن الخُلُق، ثمّ أتاه عن يمينه فقال: ما الدّين؟ فقال: حُسن الخُلُق، ثمّ أتاه من قبل شماله فقال: ما الدّين؟ فقال: حُسن الخُلُق، ثمّ أتاه من ورائه، فقال: ما الدّين؟ فالتفت إليه وقال: أما تفقه؟ الدين هو أن لا تغضب"[8].

3- اجتناب الحرام:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "**حُسن الخُلُق في ثلاث: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسّع على العيال**"[9].

4- لين الجانب:

وهو عبارة عن التواضع وعدم التكلف في المعاشرة.

5- طيب الكلام:

وهو اختيار الكلمات الّتي تؤدّي إلى نموّ المودّة ومراعاة آداب الخطاب.

6- اللّقاء بالبِشر:

وهو إبداء السرور والارتياح وطلاقة الوجه بخلاف العبوس والانزعاج.

في الحديث عن الصادق عليه السلام لمّا سُئل عن حدّ حُسن الخُلُق أنّه قال: "**تلين جانبك، وتطيّب كلامك، وتلقى أخاك بِبِشْرٍ حَسَن**"[10].

7- غرر الحكم، الآمديّ، 3404.

8- بحار الأنوار، ج68، ص.393

9- م.ن. ج68، ص.394

10- م.س. ج68، ص.389

7- الإلفة والمودّة:

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **"ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الّذين يألفون ويؤلفون"**[11].

والّذي يجمع ما تقدّم أنّ حُسن الخُلُق هو مراعاة الحقوق والآداب الّتي حثّ عليها الإسلام في التعامل مع الآخرين، إضافة إلى القيام بالواجبات الشرعيّة والالتزام بالتكاليف الإلهيّة الموجّهة إلى الفرد والمجتمع.

د- ما يترتّب على حُسن الخُلُق؟

إنّ الّذي يترتّب على حُسن الخُلُق من ثمرات وآثار غير مختصّ بأحد العالمَيْن دون الآخر، بل يشمل كلا العالمَيْن الدنيويّ والأُخرويّ، فلنبحر في سفينة العترة الطاهرة عليهم السلام مع وقع كلامهم عليهم السلام بما فيه من روعة البيان وجميل المعاني.

أولاً: الآثار الدنيويّة

1- زيادة الرزق:

عن الصادق عليه السلام: **"حُسن الخُلُق يزيد في الرزق"**[12]، وفي الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: **"في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق"**[13].

2- طول العمر:

كما جاء في الحديث: **"إنّ البِرّ وحُسن الخُلُق يعمِّران الديار ويزيدان في الأعمار"**[14].

11- مستدرك الوسائل، الميرزا النوريّ، ج9، ص.150

12- بحار الأنوار، ج68، ص.396

13- الكافي، الكلينيّ، ج8 ص.23

14- م.ن. ج2، ص100.

3- كثرة المحبّين:

يقول النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: "**مَن حَسُنَ خُلُقه كَثُر مُحِبُّوه وأنست النفوس به**"[15].

4- ذهاب الخطيئة:

في الحديث: "**الخُلُق الحَسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد**"[16].

ثانيًا: الآثار الأخرويّة

1- ثواب المجاهد:

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "**إنّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حُسن الخُلُق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح**"[17].

2- عظيم الدرجات:

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "**أنّ العبد ليبلغ بحسن خُلُقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة**"[18].

3- أثقل ما يوضع في الميزان:

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "**ما من شيء أثقل في الميزان من خُلُق حَسن**"[19].

4- أجر الصائم القائم:

في الحديث: "**إنّ صاحب الخُلُق الحَسن له مثل أجر الصائم القائم**"[20].

هـ- حُسن الخُلُق وظيفة عامّة

قد يُقال إنّ الخُلُق الحَسن أمر مطلوب ولكن ليس مع جميع الناس، وإنّما خاصّةً مع المؤمنين، أو مع فئة معيّنة! وهذا ليس بصحيح، لأنّ تعاليم أهل البيت (ع) أكّدت على ضرورة تحلّينا بهذه الفضيلة في تعاملنا مع الجميع.

15- غرر الحكم/ 9131

16- الكافي، ج2، ص10.

17- م.ن، ص 101.

18- المحجة البيضاء، ج5، ص93.

19- بحار الأنوار، ج71، ص383.

20- الكافي، ج2، ص100.

وممّا أوصانا به أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "حسّن مع جميع الناس خُلُقك حتّى إذا غبت عنهم حنّوا إليك وإذا متّ بكوا عليك وقالوا: (**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**)" ولا تكن من الّذين يُقال عند موتهم: (**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[21].

خلاصة الدرس

أ- إنّ الهدف الأسمى لرسالات الأنبياء هو انتشار مكارم الأخلاق حتّى قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "الإسلام حُسن الخُلُق".

ب- لا يكون الشخص مؤمناً ما لم يكن صاحب خُلق حَسن، لأنّ حُسن الخُلُق عنوان صحيفة المؤمن.

ج- حُسن الخُلُق هو هيئة للنفس راسخةٌ الّتي تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً.

د- من مصاديق حُسن الخُلُق: ترك الغضب، البدء بالتحيّة، اجتناب الحرام، لين الجانب، طيب الكلام، اللّقاء بالبِشْر والإلفة والمودّة.

هـ- للأخلاق الحسنة آثار مهمّة وهي: زيادة الرزق، طول العمر، كثرة المحبّين، ذهاب الخطيئة، وهذه بأجمعها في الدّنيا. وأمّا في الآخرة فهي: ثواب المجاهدين، الدرجات العظيمة، ألفها أثقل ما يوضع في الميزان وأجر الصائم القائم.

و- حُسن الخُلُق مطلوب حتّى مع غير المؤمنين.

21- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج4، ص387.

"يَا مَنْ وَعَدَهُمْ (أي خلقه) عَلَى نَفْسِهِ بِتَفَضُّلِهِ حُسْنَ الْجَزاء..."[1].

"قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الأَذِلاَّءِ الْمُذْنِبِينَ، مَوْقِفَ الأَشْقِيآءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَخِفِّينَ بِوَعْدِكَ..." [2].

الصحيفة السجّاديّة

أ- في رحاب الدّعاء

في هذه الفقرة الشريفة يشير الإمام عليه السلام إلى آفة من آفات التعامل مع الوعد، ألا وهي الاستخفاف بالوعد الإلهيّ حيث ورد النّهي عنه في الكتاب الكريم، يقول سبحانه: (**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**)[3] فلا يحقّ لنا أن نستخفّ بما وعدنا الله تعالى وأعدّه لعباده الصالحين، سواء في هذا العالم كالنصر على الأعداء والتسديد في ميادين الجهاد وساحات العمل، أو في العالم الآخر من الجزاء المقيم والعطاء الكريم. وهناك مشكلة أخرى تكمن في الوعد الّذي يكون بين الناس، فلا يجدون صدقاً ووفاء فيما بينهم حيث لا يفي الرجل بما وعد، ولا يعمل بما عاهد، ممّا يؤدّي إلى انتشار البغضاء والعداوة، وسقوط البعض منهم، وعدم الانتظام، إلا الّذين يراعون هذا الحقّ ويلتزمون بهذا الواجب الّذي مدح الله تعالى به نبيّه إسماعيل عليه السلام وأثنى عليه في قوله عزّ من قائل: (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا**)[4]، وممّا قاله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "**العِدَةُ دَيْن، ويل لمن وعد ثمّ أخلف، ويل لمن وعد ثمّ أخلف، ويل لمن وعد ثمّ أخلف**"[5].

1- الصحيفة السجّاديّة، ص.66

2- م.ن، ص.258

3- الروم: .60

4- مريم: .54

5- ميزان الحكمة، حديث 21955.

وللأسف الشديد فإنّ الكذب بالوعد يشكّل ظاهرة شائعة خصوصاً في بعض الأوساط، وهو ما يدعونا إلى إيضاح أهمّيّة الوفاء والصدق بالوعد عبر الكتاب والسنّة والتنبيه على المخاطر والشوائب الناتجة من عدم الالتزام والاستخفاف به، مع أنّ الّذي يجب أن ينتشر هو تلك الصورة البيضاء الناصعة لعدة المؤمن كما رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: "**عِدة المؤمن دين وعِدَة المؤمن كالأخذ باليد**"[6]، وفي الحديث: "**وعد الكريم نقد وتعجيل، وعد اللّئيم تسويف وتعليل**"[7].

ب- كيف نتعامل مع الوعد؟

تتمثّل مشكلة عدم الوفاء في أمرين هما:

الأوّل: أن يعِدَ المؤمن أخاه وهو قادر على الوفاء ثمّ لا يفي.

الثاني: أن يعِدَه وهو عالم أنّه غير قادر على الوفاء من البداية ولا شكّ أنّه ينبغي تلافي الأمر الأوّل طالما لم يطرأ عجز غير متوقّع، وإلّا كان الإنسان معذوراً إذا عجز بعد أن كان قادراً، ويجمل في هذه الحالة اطلاع الآخر على حقيقة ما جرى، وأن يحمل المؤمن في نفسه همّ الوعد. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**ما بات لرجل عندي موعد قط فبات يتململ على فراشه ليغدو بالظفر بحاجته، أشدّ من تململي على فراشي حرصاً على الخروج إليه من دين عدته، وخوفاً من عائق يوجب الخُلف، فإنّ خُلف الوعد ليس من أخلاق الكرام**"[8].

وعن الرضا عليه السلام: "**إنّا أهل بيتٍ نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**"[9]. وكذلك ينبغي تلافي الأمر الثاني وهو الوعد مع العلم بعدم القدرة على الوفاء لأنّه قبيح ونوعٌ من أنواع الكذب، وقد نهانا الإسلام عن ذلك نهياً شديداً، قال تعالى:

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**)[10].

6- م.س. .21956

7- م.ن. .21963

8- غرر الحكم: .9692

9- بحار الأنوار، ج72، ص.97

10- الصف: 2 - 3.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "**لا تعدنّ عدّة لا تثق من نفسك بإنجازها**"[11].

وممّا قاله الصادق عليه السلام: "**لا تعدنّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه**"[12].

وممّا ورد في ذمّ الخُلْف بالوعد ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر لمّا ولاّه مصر: "**وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتُتْبِع مَوعدك بخلفك، فإنّ المنّ يُبطل الإحسان والتزيّد يذهب بنور الحقّ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**"[13].

ج- الوعد والصِّغار

ربّما يتراءى أنّه ليس هناك ضررٌ في أن يَعِدَ الرجل أطفاله ثمّ يخلفهم، خاصّة فيما إذا لجّوا في الطلب ورغبوا بأشياء لا يحبّ أن يجيبهم إليها بدعوى أنّه الّذي يمسك بزمام أمورهم وله المونة عليهم. وقد يسوِّغ بعض الناس هذا السلوك الخاطىء في التعامل مع الصغار بأنّ إبقاءهم على أمل الاستجابة لهم، خيرٌ من ردعهم ومنعهم من أوّل الطريق تخلّصاً من تذمّرهم أو بكائهم.

والصحيح أنّ هذه الطريقة لا تتّصل بالمنهج التربويّ الّذي تدعونا إليه الأخلاق الإسلاميّة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث يقول مولانا الكاظم عليه السلام: "**إذا وعدتم الصبيان فأوفوا لهم، فإنّهم يرون أنّكم أنتم الّذين ترزقونهم، وإنّ الله عزّ وجلّ ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان**"[14].

لذلك يبقى الخلف بالوعد على قبحه سواء كان مع الكبار أو مع الصغار.

ج- خُلف الوعد والنِّفاق

يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "**أربعٌ مَن كُنَّ فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النِّفاق حتّى يدعها: مَن إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"[15].

11- غرر الحكم: 10297.

12- ميزان الحكمة، حديث: 21974.

13- نهج البلاغة: ج3، ص108.

14- بحار الأنوار، ج6، ص50.

15- م.ن، ج69، ص261.

النبيّ (ص) يجعل الخُلف بالوعد نفاقاً حيث إنّ النفاق ليس إلّا أن يُظهر الإنسان غير ما يضمر حقيقة، وبالتالي فالمسافة بين خُلق الوعد والنفاق أقرب ممّا قد نظنّ.

د- الوعد في سلوك النبيّ (ص)

ينقل المحدّثون عدّة وقائع ترتبط باهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الشديد بالحفاظ على الوفاء بالوعد مكاناً وزماناً وتحمّله المتاعب لقاء ذلك، نذكر منها نموذجين فقط علّنا نقتدي به ونستفيد من سيرة حياته المباركة.

النموذج الأوّل: يقول أحدهم: بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيع قبل أن يُبعث، فبقيت له بقيّة ووعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت ثمّ ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو مكانه، فقال: "يا فتى لقد شققت عليّ، أنا ها هنا منذ ثلاثة أيّام"[16].

النموذج الثاني: ما قاله مولانا الصادق عليه السلام: **"إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعد رجلاً إلى الصخرة فقال: أنا لك ها هنا حتّى تأتي قال: فاشتدّت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله لو أنّك تحوّلت إلى الظلّ، قال: وعدته ها هنا وإن لم يجئ كان منه المحشر"**[17].

هـ- إسماعيل عليه السلام وصدق الوعد

هناك سؤال يُطرَح هو: لماذا سُمِّي إسماعيل عليه السلام صادق الوعد في القرآن الكريم ولم تُطلَق هذه التسمية على غيره في الآيات مع أنّنا لا نشكّ في أنّ جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا صادقي الوعد؟

والجواب يأتينا من مولانا الصادق عليه السلام قائلاً: **"إنّما سُمِّي إسماعيل عليه السلام صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، فسمّاه الله عزّ وجلّ صادق الوعد، ثمّ قال: إنّ الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل عليه السلام: ما زلت منتظراً لك"**[18].

16- مستدرك الوسائل، ج8، ص460.

17- مكارم الأخلاق، الشيخ الطبسي، ج1، ص64.

18- أصول الكافي، ج2، ص105

خلاصة الدرس

أ – إنّ الاستخفاف بالوعد الإلهيّ أو عدم الوفاء بالوعد بين الناس من الأخلاق الرذيلة الّتي حذر منها الإسلام الحنيف، معتبراً أنّ الوعد دين في رقبة المؤمن وعليه أن يكون صادقاً في ذلك.

ب – في بعض الأحيان يكون الخلف بالوعد ناتجاً من عدم القدرة على الوفاء منذ البداية، فهنا المطلوب أن يكون الإنسان واقعيّاً مع نفسه وغيره وأن لا يعد من أوّل الأمر.

ج – كما لا ينبغي الخلف بالوعد مع الكبار، كذلك الأمر مع الصغار؛ لأنّه أسلوب مرفوض إسلاميّاً وتربويّاً.

د – خلف الوعد خصلة من خصال النِّفاق.

هـ – سُمِّي إسماعيل عليه السلام صادق الوعد في القرآن لأنّه انتظر من واعده سنة كاملة.

"أَللَّهُمَّ... جيرَانِي وَمَوَالِيَّ وَالْعَارِفِينَ بحَقِّنَا وَالْمُنَابِذِينَ لاِعْدَائِنَا... وَفِّقْهُمْ لاقَامَةِ سُنَّتِكَ وَالاَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي... كِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ..."[1].

"أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ واجْعَل القُرْآنَ... لاِلْسِنَتِنَا عَنِ الْخَوْضِ فِي الباطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَة مُخْرِساً، وَلِجَوَارِحِنَا عَنِ اقْتِرَافِ الاثامِ زَاجِراً..."[2].

الصحيفة السجّاديّة

أ- في رحاب الدُّعاء

يدعو الإمام عليه السلام ربّه تعالى أن يوفّق شيعته الموالين له العارفين بحقّه العاملين بما توجبه ولايتهم له من البراءة من أعدائه ومنابذتهم، ومناصرة أهل الحقّ ومعاونتهم لأنّ يقيموا السنّة الإلهيّة ويعملوا بآداب الدين الّتي من جملتها كتمان السرّ والحفاظ على الأمانة وغير ذلك، حيث من الخيانة إفشاء السرّ الّذي إئتمن المرء عليه، ولا يحبّ الإمام عليه السلام أن يرى في أتباعه خونة لا يراعون الحقوق، ولا يقيمون لعواقب الأمور وزناً وأن ترتّب على إذاعة الأسرار ما يؤدّي إلى الفرقة بين الأخوة ونشر الضغينة بين الأرحام، والإفساد في المجتمعات، بل على العكس تماماً، شيعته هم حفظة الأسرار الأمناء المنزّهون عن هذه الآفة اللّسانيّة القبيحة، يقول الصادق عليه السلام: **"إفشاء السرّ سقوط"**[3].

وفي الحديث: **"سرّك سرورك إن كتمته، وإن أذعته كان ثبورك"**[4].

1- الصحيفة السجّاديّة، ص.124

2- م.ن، ص.178

3- تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص316

4- غرر الحكم: 5616.

ب- الكتمان سبب النجاح

إنّ من أقوى أسباب النجاح، وأدوم أحوال الصلاح، وأدلّ شيء على سعة النفس، وغزارة العقل كتمان السرّ، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **"أنجح الأمور ما أحاط به الكتمان"**[5]، وقال عليه السلام: **"من كتم سرّه كانت الخيرة في يده"**[6].

وعنه عليه السلام: **"سرّك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره"**[7].

هذا فيما يتعلّق بإفشاء المرء لأسراره الشخصيّة والبيتيّة الّتي لا ترتبط بالآخرين، وأمّا ما يتعلّق بهم فلا شكّ أن كشف أسرارهم الّتي أودعوها عنده أقبح من كشف سرّ نفسه، لأنّ الّذي يبدي سرّ غيره ويفشيه يبوء بوصمة الخيانة والنميمة كما تقدّم.

ويتأكّد الاهتمام بالمحافظة على الأسرار أكثر كلّما كانت ترتبط بقضايا خطيرة كالتي تعني شؤون العمل الجهاديّ من قبيل الخطط العسكريّة، ومواضع وجود المجاهدين، والمقدّرات الميدانيّة وما شابه هذه الأمور ويعتبر البوح بها إلى الآخرين خدمة مجّانيّة إلى الأعداء، كما يصبح المتهاون بها شريكاً في كلّ ظلامة أو سفك دم أو ثغرة ناتجة من بوحه بالسرّ المأمور بكتمانه.

ج- معيار حفظ الأسرار

يقول الصادق عليه السلام: **"لا تطلع صديقك من سرّك إلّا على ما لو أطلعت عليه عدوّك لم يضرّك، فإنّ الصديق قد يكون عدوّاً يوماً ما"**[8].

هذا الحديث يوضح المعيار والميزان الّذي في ضوئه يكون الإبداء أو الإخفاء، فإن كان إطّلاع الآخر على سرّك غير مؤذٍ ولا مضرّ حتّى لو انقلب عدوّاً أو أوصل السرّ إلى الأعداء، فكَشْفُ هكذا سرّ مسموح به.

5- ميزان الحكمة، ج2، ص.1282

6- الكافي، ج8، ص.152

7- م.ن.

8- بحار الأنوار، ج72، ص71.

وإلا لو كان إطْلاعه عليه مضرّاً فهو غير مسموح به وإن كانت الصداقة والمودّة لا تزال قائمة بينهما، هذا على الصعيد الفرديّ ومنه نفهم ما هو على الصعيد العامّ، سيّما وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **"جمع خير الدّنيا والآخرة في كتمان السرّ ومصادقة الأخيار، وجمع الشرّ في الإذاعة ومؤاخاة الأشرار"**[9].

وقيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

د- الأمين على السرّ

هناك أمور تعتبر أسراراً مهمّة تخصّنا لكن لا نستغني فيها عن مساعدة صديق أو استشارة ناصح، أو معاونة إنسان حاذق عارف بكثير من مفاصل الحياة وبلاءاتها، فإذا كان لا بدّ لنا أن نودع أسرارنا لدى شخص يحمل مواصفات تساعدنا على بلوغ أهدافنا وإنجاح أعمالنا، لما يمتلك من مؤهّلات قد يفتقدها البعض منّا، فكيف نختاره ليكون أميناً على ذلك؟

يجيبنا والد الشيخ البهائيّ (رض) قائلاً: "فليختبر العاقل أميناً جليلاً إن لم يجد إلى كتم السرّ سبيلاً، وليتحرّس في اختيار من يأتمنه عليه كلّ الاحتراس، فليس كلّ من كان على الأموال أميناً كان على الأسرار أميناً، لأنّ العفّة على الأموال أيسر من العفّة عن إذاعة الأسرار، بدليل أنّ المرء قد يظهر سرّه في غير محلّه بمبادرة لسانه، ويحترز في ذلك على اليسير من ماله، فلهذا كان أمناء الأسرار أشد تعذّراً وأقل وجوداً من أمناء الأموال". ومن صفات الأمين على السرّ: أن يكون ذا عقل راجح، ودين صالح، ونصح مبرور، وودّ موفور، كتوماً بالطبع، ثقة لا يكذب يخشى ربّه في الخفاء والعلانية.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **"لا تودع سرّك إلا عند كلّ ثقة"**[10].

وقيل لبعض الحكماء: كيف حفظك للسرّ؟ فقال: أنا قبره.

هـ- من لا ينبغي إيداع السرّ عنده

1- الجاهل الأحمق:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **"لا تسرّ إلى الجاهل شيئاً لا يطيق كتمانه"**[11].

وفي الحديث: **"إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه"**[12].

9- م.ن.

10- ميزان الحكمة، ج2، ص.1282

11- م.ن، ص .1283

12- بحار الأنوار، ج1، ص158.

2- الخائن:

فيما رُوي: "**لا تودعنّ سرّك من لا أمانة له**"[13].

والّذي تجدر الإشارة إليه قبل أن نختم الكلام في هذا الدرس أنّه مع توفّر المواصفات المطلوبة لأمين السرّ، فإن كان لا ضرورة أو لا حاجة إلى كشف السرّ على الإطلاق، بحيث إنّ الإنسان لمجرّد الميل لديه لإطْلاع الآخر الثقة على معلومات تخصّه قام ببيانها له، ولأنه يأنس بذلك، فإنّ الأفضل الاحتفاظ بها وعدم إبدائها طالما أنّه ليس من شيء يدعوه إلى هذا الأمر، وقد حثّت الروايات في مثل هذه الحالات على التفرّد بالسرّ.

قال الصادق عليه السلام: "**سرّك من دمك فلا تجرِ في غير أوداجك**"[14].

وقال عليه السلام: "**صدرك أوسع لسرّك**"[15] وممّا رُوي: "**المرء أحفظ لسرّه**"[16].

خلاصة الدرس

أ - يحبّ أهل البيت عليهم السلام لأتباعهم أن يتحلّوا بكتمان السرّ ويدعونهم إلى ذلك، لأنّه من محاسن الأدب وأقوى أسباب النجاح والصلاح.

ب - إنّ إفشاء السرّ يُعتبر خيانة إذا كان متعلّقاً بالآخرين، وسبباً للمتاعب والسقوط إذا كان خاصّاً بصاحبه.

ج - معيار حفظ الأسرار هو إطْلاع الصديق على الأمور الّتي لو وصلت إلى العدوّ لم يكن هناك ضرر وإيذاء.

د - لا ينبغي ائتمان أحد على السرّ إلّا إذا كان ثقة مأموناً وذا عقل راجح وكتوماً يخشى الله تعالى في السرّ والعلن.

هـ - لا يؤتمن على السرّ: الجاهل الأحمق والخائن والنمّام.

13- ميزان الحكمة، ج2، ص.1283

14- بحار الأنوار، ج72، ص.71

15- م.ن.

16- م.ن.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الخامس

أمانة الوقت

"وَهَذَا يَوْمٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ..."[1]. **"اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَة مِنْ سَاعَاتِهِ حَظّاً مِنْ عِبَادِكَ، وَنَصِيباً مِنْ شُكْرِكَ وَشَاهِدَ صِدْق مِنْ مَلائِكَتِكَ..."**[2]. **"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَوَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هذا ولَيْلَتِنَا هذِهِ وَفِي جَمِيع أيّامِنَا..."**[3]. **"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ... وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ.."**[4].

الصحيفة السجّاديّة

أ- في رحاب الدُّعاء

ربّما ينصرف ذهن الكثيرين من الناس إلى أنّ الله تعالى سيسألهم يوم الحساب عن أداء العبادات أو تركها أو اجتناب المحرّمات فقط، ولا يلتفتون إلى أنّه توجد مسؤوليّات أخرى هي محلّ اهتمام الخالق سبحانه، ويتهاون الإنسان بعض الأحيان فيها، ومن تلك الأمور الّتي يسألنا الله عنها الوقت الّذي هو نعمة وعطاء منه يمكن أن نملأه فيما أراده عزّ وجلّ لنا، وليس من الصواب أنّ الإنسان إذا أدّى واجباته العباديّة واجتنب ما نهاه المولى تعالى عن فعله أن يعيش في فراغ دائم ويضيّع أوقاته بدون جدوى ولا يلتزم ببرنامج عمل في حياته. فالإمام السجاد عليه السلام يكشف من خلال الدّعاء المتقدّم عن أمرين لا بدّ منهما وهما:

الأوّل: ضرورة استعمال الوقت وعدم إفناء العمر بالفراغ.

والثاني: أن يكون ذلك فيما أراده الله تعالى وخلق البشريّة لأجله، لا مجرّد استغلال الوقت في أيّ شيء كان، وهو المقصود من قوله عليه السلام: **"واستفرغ أيّامي فيما خلقتني له"**.

وإلى المعنى نفسه يشير في دعاء آخر: **"واجعلنا من أرضى من مرّ عليه اللّيل والنهار من جملة خلقك"**[5].

1- الصحيفة السجّاديّة، ص.56

2- م.ن، ص.57

3- م.ن.

4- م.ن، ص.110

5- الصحيفة السجّاديّة، ص57.

ويحدّثنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن مسؤوليّة الوقت قائلاً: "**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه**"[6].. وفي الحديث: "**إنّ عمرك وقتك الّذي أنت فيه**"[7] لذلك صحّ أن يقال إنّ الوقت أمانة لدينا فلا يسوغ لنا التهاون بها أو تضييعها أو خيانتها.

ب- كيف تُصان أمانة الوقت؟

لا بدّ قبل معرفة الجواب أن نبيّن أنحاء الوقت وهي:

النحو الأوّل: أن يكون الوقت خاصّاً بالشخص ولا يشاركه فيه غيره، كالساعات الّتي يخلد فيها إلى الراحة في بيته أو النزهة إلى مكان ما.

النحو الثاني: أن يكون الوقت مشتركاً بينه وبين آخرين، كالحصّة الدراسيّة في الجامعة حالة كونه طالباً فيها، فإنّ وقتها لا يخصّه لوحده بل يشاركه سائر زملائه في الصفّ إضافة إلى الأستاذ.

النحو الثالث: أن يكون الوقت لغيره كالموظّف في مؤسّسة ما أو الأجير لدى ربّ العمل لساعات محدّدة يشغلها بالمهمّة الموكلة إليه سواء في الصناعة أو الزراعة أو في الشؤون الإداريّة أو غير ذلك.

وتصان أمانة الوقت في الأنحاء الثلاثة على الشكل الآتي:

أمّا الأوّل: فإنّه طالما كان الواحد منّا مالكاً لوقته غير مرتبط بدوام مع غيره، وأراد تنظيم ساعات أيّامه بالشكل الّذي يريده الإسلام له وتفرضه عليه تلك المسؤوليّة عن عمره فالّذي ينبغي له هو أن يتبع التقسيم الّذي أرشدنا إليه مولانا الكاظم عليه السلام حيث يقول: "**اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الأخوان والثقات الّذين يعرّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرّم**"[8].

والّذي يفهم من الحديث أنّ إشغال الوقت بتمامه بأمرٍ واحد ممّا ذكره عليه السلام كأن يكون كلّ وقته لأمر المعاش أو كلّ وقته للانصراف إلى الملذّات غير المحرّمة هو غير مرغوب فيه، بل اللّازم اعتماد التوزيع المذكور.

6- بحار الأنوار، ج36، ص.79

7- ميزان الحكمة، ص.2112

8- بحار الأنوار، ج75، ص321.

وأمّا الثاني: فينبغي عدم هدر الوقت باختلاق أسئلة لا طائل فيها أو تعمّد تضييع الحصّة الدراسيّة بما يعطّل الفائدة على أصدقائه التلامذة، أو القيام بأيّ عمل من شأنه أن يؤخّر برنامجهم العلميّ، فإنّ المسؤوليّة هنا أشدّ وآكد حيث إنّه غصب لأوقات الآخرين إضافة إلى تضييع وقته، وربّما كان الّذي فات لا يعوّض بالنسبة إلى الجميع.

وفي الحديث: "**ما أنقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك**"[9].

وممّا قاله أمير المؤمنين عليه السلام: "**إنّما أنت عدد أيّام فكلّ يوم يمضي عليك يمضي ببعضك، فخفِّض في الطلب وأجمل في المكتسب**"[10].

وأمّا الثالث: فإنّه إذا فرّط الأجير بالوقت وانصرف إلى شؤون تخصّه كان خائناً لمن استأجره وائتمنه حيث فرض له بدلاً ماليّاً لقاء إشغال هذه الساعات وقيامه بالمهمّة الموكلة إليه على أحسن وجه. ويظهر هذا النوع من الخيانة لأمانة الوقت في المؤسّسات الانتاجيّة والمصانع الّتي ينخفض فيها مستوى الإنتاج كلّما هدر العاملون فيها الأوقات وانصرفوا عن أداء العمل حقّه. ومن الناحية الشرعيّة تنشأ مشكلة تقاضي الراتب الماليّ كاملاً حال عدم الالتزام بإشغال الوقت فيما حدّد له إذ إنّ الساعات الّتي هدرت لغير مصلحة المؤسّسة لا يحقّ للموظّف أو الأجير أخذ البدل عنها، ويكون أخذ الأجرة عليها حينئذٍ أخذاً للمال بغير حقّ. فصيانة أمانة الوقت في هذا النحو تتمّ بأمرين:

أولاً: الالتزام بالدوام المحدّد المتفّق عليه من بدايته إلى نهايته.

ثانيًا: أن يكون المداوم مشتغلاً بما كلّف به لا مجرّد أنّه حاضر في مكان العمل، لكن مع عدم الاشتغال.

ج- هكذا يُضيَّع الوقت

هناك صنفان من الناس، أحدهما: قدم على تضييع عمره وهو عارف بما يقوم به، والآخر: يضيّعه وهو جاهل بذلك بل معتقد أنّه يعرف فيما له نفع. فلأجل علاج الموقف نقرأ معاً ما تفضّل به أهل البيت عليهم السلام في بيان كيف تضيع الأوقات والأعمار.

9- غرر الحكم، ص 9608.

10- م.ن، ص 3874.

1- الاشتغال بالفائت:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **"الاشتغال بالفائت يضيّع الوقت"**[11].

2- ترك العمل للآخرة:

في الحديث: **"اشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكثر الوهن"**[12].

3- الفضول:

يقول مولى المتّقين عليه السلام: **"شرُّ ما شغل به المرء وقته الفضول"**[13].

4 - الاشتغال بغير المهمّ: (عدم ترتيب الأولويّات).

عنه عليه السلام: **"من اشتغل بغير المهمّ ضيّع الأهمّ"**[14].

5- الغفلة:

في الحديث: **"فيا لها حسرة على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشّقوة"**[15].

6- اللّهو والنسيان:

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: **"أين الّذين عُمِّروا فنعموا، وعُلِّموا ففهموا وأُنظِروا فلهَوْا، وسُلِّموا فنُسُوا، أُمهلوا طويلاً ومُنحوا جميلاً"**[16]؟!

11- ميزان الحكمة، حديث: 14208.

12- م.ن. 14209.

13- م.ن. 14210.

14- م.ن. 14211.

15- م.س. 14234.

16- م.ن. 14213.

خلاصة الدرس

أ – الوقت أمانة إلهيّة لدى الإنسان، لا يجدر به أن يعيش دون الاستفادة منها ورعايتها وينبغي أن تكون فيما أراده الله تعالى.

ب – للوقت أنحاء ثلاثة ينبغي رعاية كلّ نحو بحسب ما تفرض المسؤوليّة عنه وهي: ما يكون خاصّاً وما يكون مشتركاً وما يكون للآخرين.

ج – يتمّ ضياع الوقت بأمور هي: الاشتغال بالفائت، ترك العمل للآخرة، الفضول، ترك الأهمّ والاشتغال بغير المهمّ، الغفلة، اللّهو والنسيان.

"أَللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ... وَأَعِزَّني، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْر... وَلا تَرْفَعْنِي فِيْ النَّاس دَرَجَةً إلاّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلاّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا...[1]. "واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ... أَلِينُ جَانِبِيْ لَهُمْ تَوَاضُعاً... أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ...".

الصحيفة السجّاديّة

أ- في رحاب الدُّعاء

في هذه المقطوعة الفريدة الّتي تمثّل نهجاً تربويّاً أخلاقيّاً رائداً يوضح الإمام السجاد عليه السلام أنّ العزّة لا تتحقّق بالتكبّر والاستعلاء على الآخرين، وإنّما العزّة في التواضع والتخشّع، وعلى المؤمن أن لا تأخذه المكانة بين الناس إلى إحداث علوّ باطنيّ في نفسه سرعان ما تنبىء عنه الأفعال والأقوال حين تعكس الصورة الظاهريّة ذلك الباطن المملوء بالترّهات الّتي لا حقيقة لها عندما يعود الإنسان إلى حقيقة أمره ومعرفة ما هو خطره! (ما أنا يا سيّدي وما خطري؟) ويظهران لا واقعيّة ولا صدقاً يدعوان إلى هذا التكبّر. بناءً على ذلك، يكون المستقيم هو من عرف نفسه وظلّ متّهماً لها بالتقصير رغم قيامه بما يجب عليه والتزامه بالآداب، ولا ينظر إلى أصحابه أو سائر من يعاشرهم على أنّه أفضل منهم وهم أدنى منه، نتيجة ما تحدّثه به نفسه أو يسرح به خياله فيحسّ أنّه طار في الهواء أو غاص في غمر الماء وهو لا يزال واقفاً مكانه ولكلّ ذلك أسباب سوف نتحدث عنها بالتفصيل إن شاء الله تعالى. فالمطلوب هو أن لا يرى أنّه فوق الناس، بل يشكر الله على كلّ نعمة فضّله الله بها عليهم من علم أو جاهٍ أو مال، ويعلم أنّ هذا كلّه من الله، وإن شاء الله سلبه تلك النِّعم. فالتواضع ولين الجانب من أشرف الخصال الحميدة في الإسلام، وأفضل العبادة.

1- الصحيفة السجّاديّة، ص110.

ب- التواضع المذموم

بعد أن عرفنا ما للتواضع من أهمّيّة وتأثير في أن يعيش الإنسان صادقاً مع نفسه وربّه وكذلك مع الناس، لا بدّ أن نعرف حدود التواضع كي لا نقع فريسة للجهل حينما نتواضع لمن لا ينبغي التواضع له كالكافر المحارب الّذي يتربّص بالمؤمنين الدوائر، والله تعالى يقول: "**فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله**"[2] فهناك قسم من التواضع مذموم وهو ما يكون للظالمين وأصحاب النفوذ والمصالح المادّيّة لأجل الوصول إلى مآرب غير شرعيّة أو الحصول على رضا المخلوقين وثنائهم ومدحهم، مع أنّ التواضع الّذي تحثّ عليه الشريعة هو ما يُراد به وجه الله تعالى.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**من أتى غنيّاً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه**"[3].

وفي الحديث: "**أيّما مؤمن خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه طلباً لما في يديه أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه وصار في يده منه شيء نزع الله البركة منه، ولم يؤجره على شيء ينفقه في حجّ ولا عمرة ولا عتق**"[4].

ج- كيف أتواضع؟

ربّما يتراءى للبعض أن يلين جانبه إلى حدّ أنّه يُكسر، أو يتعاطى مع الآخر بطريقة لا تنسجم مع بناء الشخصيّة الإيمانيّة ودورها في المجتمع، فلأجل تلافي الوقوع بمشاكل ناشئة من ضياع الأساليب المرغوبة والسبل المطلوبة كان لأهل البيت عليهم السلام بيانهم الوافي في هذا الجانب حيث بيّنوا وحدّدوا الطريقة المثلى في هذا الشأن ضمن رسم بيانين: الأوّل عامّ بحيث يشكّل ميزاناً وضابطة في سلوك التواضع والثاني خاصّ بحيث يدلّل وينبّه على موارد معيّنة تجمل فيها هذه الفضيلة.

2- المائدة: 54.

3- بحار الأنوار، ج70، ص170.

4- وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج11، ص146.

أمّا الأوّل: كما ورد عن مولانا الرضا عليه السلام لمّا سُئل عن حدّ التواضع: **"أن تعطي الناس من نفسك ما تحبّ أن يعطوك مثله"**[5].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **"حسب المرء من تواضعه معرفته بقدره"**[6].

وأمّا الثاني: فما جاء عن الصادق عليه السلام: **"التواضع أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تسلّم على من لاقيت، وأن تترك المِراء وإن كنت محقّاً، ورأس الخير التواضع"**[7].

فمن التواضع أن يسلّم على كلّ من يمرّ به، وأن يجلس في منتهى المجلس أو في الأماكن الخلفيّة في الاحتفالات العامّة والمناسبات الدينيّة وإن كان مكانه في الأماكن الأماميّة وأن لا يدخل في نفسه شيء سواء قدّم أو أخرّ نتيجة الازدحام والضيق أو انصراف اهتمام الداعين له عن تبجيله جرّاء انشغالهم بغيره، وهذا ممّا لا يسبّب إهانة ولا منقصةً.

د- ما يُستعان به على التواضع

هناك أمور يمكننا أن نستعين بها على التواضع وتشكّل أسباباً مهمّة مساعدة على الابتعاد عن التكبّر والاستعلاء الّذي كثيراً ما ينشأ من تولّي المسؤوليّات، ومخالطة وجهاء الناس، ومعاشرة الأغنياء، وقلّة مخالطة الأكفاء، ومدح الناس، ونفوذ الأمر، ومحادثة النفس وإعجابها بكلّ ما يصدر عنها وغير ذلك من الآفات الخدّاعة الّتي تؤدّي إلى التشاغل عن الفضائل، بل ربّما إلى فعل الرذائل، مع أنّ المطلوب إذا زُكّي الرجل أن يقول كما ورد في خطبة المتّقين لأمير المؤمنين عليه السلام: **"إذا زُكِّي أحدهم خاف ممّا يقال له، فيقول: "أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي من نفسي، اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون واغفر لي ما لا يعلمون"**[8].

5- م.س، ج15، ص.274

6- بحار الأنوار، ج75، ص.80

7- م.ن. ج72، ص.123

8- نهج البلاغة، ج2، ص162.

والأمور المساعدة على التواضع هي:

1- سلامة الصدر:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "**لا يُستعان.. على التواضع إلّا بسلامة الصدر**"[9].

2- العلم والتفقّه:

في الحديث: "**التواضع ثمرة العلم**"[10].

ورُوي: "**إذا تفقّه الرفيع تواضع**"[11].

3- تعظيم الخالق سبحانه:

يقول مولى المتّقين عليه السلام: "**وأنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم، فإنّ رفعة الّذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له**"[12].

هـ- ثمرات التواضع

إنّ اعتماد التواضع مسلكاً يؤدّي إلى نتائج فيها من الخير الكثير على أصعدة مختلفة نستعرضها ضمن البيان النورانيّ لأهل بيت العصمة عليهم السلام وهي:

1- انتشار المودّة بين الناس:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**ثمرة التواضع المحبّة، ثمرة الكِبْر المسبّة**"[13].

2- السلامة والأمان بين الناس:

عنه عليه السلام: "**التواضع يُكسبك السلامة**"[14].

9- بحار الأنوار، ج75، ص.7

10- غرر الحكم: 301.

11- ميزان الحكمة، ج4، ص.3559

12- نهج البلاغة، الخطبة: 147.

13- ميزان الحكمة، حديث: 21860.

14- م.س. حديث: 21861.

3- المهابة والاحترام:

في الحديث: "**التواضع يكسوك المهابة**"[15].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "**إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله**"[16].

4- الصحّة والعافية:

فيما ورد: "**مَن تواضع قلبه لله لم يسأم بدنه من طاعة الله**"[17].

5- انتظام الأمور:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "**بخفض الجناح تنتظم الأمور**"[18].

6- حكمة القلب:

في الحديث: "**إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار؛ لأنّ الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل**"[19].

7- نشر الفضيلة:

عنه عليه السلام: "**التواضع ينشر الفضيلة، التكبر يظهر الرذيلة**"[20].

8- الطاعة والشكر للخالق تعالى:

في الحديث: "**بالتواضع تتمّ النعمة**"[21].

15- م.ن. حديث: 21862.

16- م.ن. حديث: 21872.

17- م.ن. حديث: 21863.

18- م.ن. حديث: 21864.

19- م.ن. حديث: 21866.

20- م.ن. حديث: 21868.

21- م.س. حديث: 21867.

ومن الواضح أنّ هذه الآثار ليست فرديّة فقط، بل تعني حياة المجتمع وعمرانه بالشكل الأفضل كما يشرحه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: "**إنّ الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتّى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**"[22].

خلاصة الدرس

أ – إنّ التواضع من أشرف الخصال الحميدة، وهو خُلُق الأنبياء والأوصياء، ومن خلاله يزداد المؤمن عزّاً وكرامة؛ لأنّ التكبر ذلّ ومهانة.

ب – التواضع المذموم هو الّذي لا يكون لله تعالى، وإنّما لحاجات زائلة أو لظالم أو لغنيّ أو لصاحب نفوذ وهو يوجب غضب الله سبحانه.

ج – ميزان التواضع أن تعطي الناس من نفسك ما تحبّ أن يعطوك مثله.

د – هناك أمور تساعد الإنسان على التواضع منها: سلامة الصدر، العلم والتفقه، وتعظيم الخالق تعالى.

هـ – ثمرات التواضع كثيرة وممّا ورد في أخبار العترة الطاهرة عليه السلام: انتشار المودّة، الأمان، الاحترام، العافية، نظم الأمور، الحكمة، نشر الفضيلة، وطاعة الربّ سبحانه.

22– م.ن. حديث: 21870.